

درمورد مقاله الحياة الطيبة في القرآن اول اسم آقاي حسين موساوي كوج با عنوان دانشجوى ارشد
دانشگاه مجازى المصطفى ص بياد و بعد اسم روح الله بابانزاد گتابى،
rohollahbabanejad0123@gmail.com

استاد جامعة المصطفى (ص)

ذكر بـشه

بسمه تعالى

الحياة الطيبة في القرآن

روح الله بابانزاد گتابى، rohollahbabanejad0123@gmail.com

استاد جامعة المصطفى (ص)

إعداد:

حسين موساوي كوج (١٣١٥٨٥)

الخلاصة

الحياة الطيبة مطلب عظيم وغاية نبيلة بل هي مطلب كل الناس وغايتهم التي عنها يبحثون وخلفها يركضون وفي سبيلها يضحون ويبدلون، فما من إنسان في هذه الحياة إلا وتراه يسعى ويكدح ويضني نفسه ويجهدا كل ذلك بحثاً عن الحياة الطيبة وطمعاً في الحصول عليها والناس جميعاً على ذلك متفقون ولكنهم يختلفون في سبل هذه الحياة الطيبة وفي نوعها ومسالكها وتبعاً لذلك فإنهم يختلفون في الوسائل والسبل التي توصلهم إلى هذه الحياة إن وصلوا إليها. يختلفون على كافة مستوياتهم كانوا أمماً أو شعوباً أو مجتمعات صغيرة أو كبيرة، بل حتى الأسرة الواحدة تجد فيها ألواناً شتى في فهم معنى الحياة الطيبة. وللناس في كل زمان أفهام حول هذه الحياة الطيبة وهم تبعاً لذلك أصناف فمنهم من يرى الحياة الطيبة في كثرة المال وسعة الرزق ومنهم من يراها في الولد أو في المنصب أو في الجاه. لكن الله تعالى في سورة النساء «ومن أصدق من الله حديثاً» (سورة النساء، الآية ٨٧) قد حدد لنا مفهوم الحياة الطيبة وسبيلها في كتابه الكريم فقال: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ». (سورة النحل، الآية ٩٧)

الكلمات المفتاحية: الحياة، الطيبة، الحياة الطيبة، الثمن، الإيمان واليقين.

المقدمة:

وقع البحث في الكتيب الذي بين يديكم حول مسألة من المسائل القرآنية التي تعدُّ من بديهيَّات التراث الديني، إلا أنه ونظراً لكثرة البحث والمناقشة حولها وهي الحياة الطيبة في القرآن الكريم.

الحياة الطيبة مطلب عظيم وغاية نبيلة بل هي مطلب كل الناس وغايتهم التي عنها يبحثون وخلفها يركضون وفي سبيلها يضحون ويبدلون، فما من إنسان في هذه الحياة إلا وتراه يسعى ويكدح ويضني نفسه ويجهدا كل ذلك بحثاً عن الحياة الطيبة وطمعاً في الحصول عليها والناس جميعاً على ذلك متفقون ولكنهم يختلفون في سبل هذه الحياة الطيبة وفي نوعها ومسالكها وتبعاً لذلك فإنهم يختلفون في الوسائل والسبل التي توصلهم إلى هذه الحياة إن وصلوا إليها. يختلفون على كافة مستوياتهم كانوا أمماً أو شعوباً أو مجتمعات صغيرة أو كبيرة، بل حتى الأسرة الواحدة تجد فيها ألواناً شتى في فهم معنى الحياة الطيبة. وللناس في كل زمان أفهام حول هذه الحياة الطيبة وهم تبعاً لذلك أصناف فمنهم من يرى الحياة الطيبة في كثرة المال وسعة الرزق ومنهم من يراها في الولد أو في المنصب أو في الجاه. لكن الله تعالى في سورة النساء "ومن أصدق من الله حديثاً" (سورة النساء، الآية ٨٧) قد حدد لنا مفهوم الحياة الطيبة وسبيلها في كتابه الكريم فقال: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ». (سورة النحل، الآية ٩٧)

وما يريده العبد وبيتيه لم يصل إليه إلا إذا أحسن عمله لله عز وجل. ومن رحمة الله تعالى بعباده أن أرشدهم إلى كيف يعيشون في الدنيا ويبن لهم ذلك في كتابه، في السنة النبوية وفي سنة اهل البيت (عليهم الصلاة والسلام).

وقد أُلقيت الضوء في بحثي هذا على مفهوم الحياة الطيبة و ثمن الحياة الطيبة في حياة المجتمع الإسلامي و ما يترتب عليها من شروط و... إلخ.

١. المفاهيم الكلية

١ / ١ الحياة لغة

في كتاب العين يقول: الحياة ضد الموت، وهي من الجذر "حيو"، وكتبت في المصحف بالواو ليعلم إن الواو بعد الياء في حد الجميع (ابن مكرم، ١٤١٤ هـ، ج ٤، ص ٢١١) وقيل على التفخيم وذلك بتفخيم الإلف التي مرجعها إلى الواو، نحو: الصلوة والزكاة. (الفراهيدي البصري، ١٩٨٠ م، ج ٣، ص ٣١٧).

ويقال: حيي يحيا فهو حيّ، ويقال للجميع: حيّوا، بالتشديد، ولغة أخرى: حيّ حيا، والجميع: حيوا خفيفة، مثل بقوا (الفراهيدي البصري، ١٩٨٠ م، ج ٣، ص ٣١٩). وأحياء الله فحيي وحيّ أيضا كقوله تعالى: «أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموت». (سورة القيامة، الآية ٤٠)

والمحيا: مفعول من الحياة وتقول: محياي ومماتي، والجمع: المحايي وقيل الحيا: هي الجنة الطيبة، لقوله تعالى: "فلنحيينه حياة طيبة" (سورة النحل، الآية ٧٩). وروي عن ابن عباس قال: "فلنحيينه حياة طيبة هي الرزق الحلال في الدنيا". (ابن مكرم، ١٤١٤ هـ، ج ١٤، ص ٢١٣)

والحيّ من كل شيء: نقيض الميت والجمع، والحيّ: كل متكلم ناطق، والحيّ من النبات: ما كان طريّا يهتز، ويسمى المطر حيا، لأن به حياة الأرض، وتقول: أتيت الأرض فأحييتها، إذا وجدت حية النبات غصنه، والحيا مقصور حيا الربيع، وهو ما تحيا به الأرض من الغيث. (الفراهيدي البصري، ١٩٨٠ م، ج ٣، ص ٣١٧). وفسر ثعلب قوله تعالى: «وما يستوي الأحياء ولا الأموات» (سورة فاطر، الآية ٢٢)، فقال: الحيّ هو المسلم والميت هو الكافر. (ابن مكرم، ١٤١٤ هـ، ج ١٤، ص ٢١٣)

والحيوان: كلّ ذي روح. والواحد والجميع فيه سواء، وقيل الحيوان: ماء في الجنة لا يصيب شيئا إلا حيّ يأذن الله (الفراهيدي البصري، ١٩٨٠ م، ج ٣، ص ٣١٧). وفي التنزيل: «وأن الدار الآخرة لهي الحيوان» (سورة العنكبوت، الآية ٦٠). أي دار الحياة الدائمة. والحيوان: اسم يقع على كل شيء حيّ، وسمى الله عز وجل الآخرة حيوانا، فقال: "وإن الدار الآخرة لهي الحيوان" قيل إن الحيوان هي الحياة، فمن صار إلى الآخرة لم يمت ودام حيّا فيها لا يموت، وعاش حياة طيبة في الجنة، إما في النار فانه لا يموت فيها ولا يحيا (ابن مكرم، ١٤١٤ هـ، ج ١٤، ص ٢١٤) وقيل الحيوان هي عين في الجنة،

والحية اشتقاقها من الحياة من أصل حويت، لأنها تتحوى في التوائها وهكذا تقول العرب (الفراهيدي البصري، ١٩٨٠ م، ج ٣، ص ٣١٧). ونكتفي بهذا المقدار الذي أشرنا معناه اللغوي والان سنشير على معناه الاصطلاحي الذي هو في بحثنا الثاني.

١ / ٢ الحياة اصطلاحا

القول باختصار: إنّ مُظهر الحياة بصورها المختلفة ذو علمٍ لا محدود وقدرةٍ مطلقة، ويُعدُّ ظهور أنواع الكائنات الحيّة أوضح دليلٍ على علم الله عزّ وجلّ وقدرته العظيمة. فإنّ الحياة لها عدّة أقسام، ابتداءً من حياة النبات وحتى حياة الإنسان فصاعداً، وهذه الحياة المتنوعة لها آثار مختلفة أيضاً.

وعندما يصل العلماء إلى حياة الإنسان يقولون: هي الحالة المقرونة بالعلم والشعور والقدرة والفعاليّة. (مكارم الشيرازي، ١٤٢٦ هـ. ق، ج ٤، ص: ١٥٤)

والحياة في نظر الشريعة هي نفخ الروح في الجسد.

ومن القدماء من يرى إن الحياة: هي عرض يحل في الجسم المركب على بيئة مخصوصة، يصح على تلك الذات باعتبارها صحة القدرة والعلم.

و ذهب بعض الاوائل الى أن الحياة: هي عبارة عن اعتدال المزاج وبعضهم الى أنها قوة الحس و الحركة.

و قال المحقق الطوسي: ان هذا النقل غير صحيح، بل اعتدال المزاج شرط في الحياة، و شرط الشيء مغاير له، و قوة الحس و الحركة معلولة للحياة و أثر من آثارها، فتكون متأخرة عنها، فلا تكون هي. وعرفها (رحمه الله) في التجريد: بأنها صفة تقتضي الحس و الحركة، مشروطة باعتدال المزاج (حلي، ١٣٧٣ ش، ص ٢٧٣) هذا في حياتنا نحن، أما في حياته تعالى فليس من هذا القسم.

اما علماء الحياة المتأخرون فيرون إن الحياة هي مجموعة ما يشاهد في الحيوانات والنباتات من مميزات تفرق بينها وبين الجمادات، مثل التغذية والنمو والتناسل وغير ذلك.

وإذا أطلقت الحياة على مجموعة ما يشاهد في الحي من مميزات كالتغذية، والنمو، والتناسل، كان لها بالنسبة إليه ابتداء وانتهاء، فبدايتها الولادة، ونهايتها الموت وتختلف مدتها باختلاف الأشخاص.

وقيل إن الحياة لها أصلان، أحدهما الحياة والآخر الحياء، وقيل إن الحياء يعني الحشمة وانقباض النفس من الشيء وتركه خوفاً من اللوم فيه، لان النفس الإنسانية تخشى آيات القبايح وتحذر من الذم. وهكذا يتضح إن الحياة تقابل الموت، وهي في نظر الشريعة نفخ الروح في الجسد.

١/٣ الطيبة لغة واصطلاحاً

طيب: أصل واحد صحيح يدلّ على خلاف الخبيث. من ذلك الطيّب ضدّ الخبيث. يقال سبيل طيبة أي طيّب. والاستطابة: الاستنجاء، لأنّ الرجل يطيّب نفسه ممّا عليه من الخبث بالاستنجاء. ونهى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أن يستطيب الرجل يمينه. والأطيبان: الأكل والنكاح. وطيبة: مدينة الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ويقال هذا طعام مطيبة للنفس.

في التهذيب قال الليث: الطيب: نعت، والفعل طاب يطيب طيباً. والطابة: الخمر، كأنّها بمعنى طيبة، الأصل طيبة. كذلك اسم مدينة الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) طابة وطيبة. ويقال ما أطيبه وأيطبه وأطيب به، كلّه جائز. وقال تعالى: طُوبَى لهُمْ: فعلى من الطيب، والمعنى العيش الطيّب لهم، (التهذيب ١٤/٣٩)

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو ما يكون مطلوباً ليس فيه قذارة ظاهراً ولا باطناً، ويقابله الخبث وهو ما يكون فيه قذارة ظاهراً أو باطناً وهو مستكره في نفسه.

والمعنى الطيب يختلف باختلاف الموضوعات، فالطيب في كلّ شيء بحسبه وبمقتضاه: كالطعام الطيب، وعيش طيب، وزوجة طيبة، وكلام طيب، ومكان طيب، وجنة طيبة، ونفس طيب، ورائحة طيبة، ورزق طيب، وشجرة طيبة، وصعيد طيب. ولا بدّ من لحاظ القيد في جميع موارد استعمالها.

والطيب في الموضوع الخارجي:

- "فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً" (سورة النساء، الآية ٤٣).
- "فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّباً". (سورة البقرة، الآية ١٦٨).
- "كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ". (سورة إبراهيم، الآية ٢٤).

وفي الكلام:

- "وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ". (سورة الحج، الآية ٢٤).
- "كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً". (سورة إبراهيم، الآية ٢٤).
- "إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ". (سورة فاطر، الآية ١٠).

وفي الإنسان:

- "وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ". (سورة سبأ، الآية ٢٦).

وفي الحال والحياة:

- "وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً". (سورة النحل، الآية ٩٧).

فالتطيب في الصعيد هو التنزّه عن القذارة. وفي الرزق هو الحليّة والمطلوبيّة واللذة: وفي الشجر هو الإثمار والسلامة والانبساط. وفي الكلام هو التماميّة والصدق والإفادة. وفي الإنسان كونه على صراط الحقّ وبرنامج مطلوب إلهيّ ومرغوباً إليه. وفي الحياة على عيش معتدل. وفي صراط مستقيم. فالطيب في كلّ مورد بما يناسبه. ويتّضح من موارد استعمال المادّة في كلام الله تعالى أمور.

٢. ما هي الحياة الطيبة

إنّ الحياة الطيبة السعيدة ليست هي الفوز بالأموال والشهوات ولا التمتع بالمساكن والملذات، وإنما هي بيان لأحد مصاديقها الواضحة،

لقد ذكر المفسّرون في معنى الحياة الطيبة تفاسير عديدة وهي:

ومنهم من قال: هي السعادة في الدنيا...

ومنهم من قال: هي الجنة...

فبعضهم فسرهما ب: الرزق الحلال.

و بعض ب: القناعة الرضا بالنصيب. قاله علي بن ابي طالب (عليه السلام) و الحسن البصري.

و بعض ب: الرزق اليومي. قاله ابن عباس.

و بعض ب: العبادة مع الرزق الحلال.

و بعض ب: التوفيق لطاعة او امر الله... و ما شابه ذلك.

و لعله لا حاجة بنا للتذكير بأن مفهوم الحياة الطيبة من السعة بحيث يشمل كل ما ذكره وغيره، فالحياة الطيبة بجميع جهاتها، و خالية من التلوثات و الظلم و الخيانة و العداوة و الذل و كل ألوان الآلام و الهموم، و فيها ما يجعل حياة الإنسان صافية كماء زلال.

و بملاحظة تعبير الآية عن الجزاء الإلهي وفق أحسن الأعمال، ليفهم من ذلك أنّ الحياة الطيبة ترتبط بعالم الدنيا بينما يرتبط الجزاء بالأحسن بعالم الآخرة. وعند ما سئل أمير المؤمنين (عليه السلام) عن قوله تعالى: «فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً»، قال: «هي القناعة» (نهج البلاغة، الكلمات القصار، رقم ٢٢٩)

و لا شك أنّ هذا التفسير لا يعني حصر معنى الحياة الطيبة بالقناعة، بل هو بيان لأحد مصاديقها الواضحة جدّاً، حيث أنّ الإنسان لو أعطيت له الدنيا بكاملها و سلبت منه روح القناعة فإنه و الحال هذه سيعيش دائماً في عذاب و ألم و حسرة، و بعكس ذلك، فإذا امتلك الإنسان القناعة و ترك الحرص و الطمع، فإنه سيعيش مطمئناً راضياً على الدوام.

و قد ورد في روايات أخرى تفسير الحياة الطيبة بمعنى الرضا بقسم الله، و هذا المعنى قريب الأفق مع القناعة.

و ينبغي أن لا نعطي لهذه المفاهيم صفة تخديرية أبداً، و إنّما الهدف الواقعي من بيان الرضا و القناعة هو القضاء على الحرص و الطمع و اتباع الهوى في نفس الإنسان، التي تعتبر من العوامل المؤثرة في إيجاد الاعتداءات و الاستغلال و الحروب و إراقة الدماء، و المسببة للذل و الأسر.

و قال قائد الثورة الإسلامية سماحة آية العظمى السيد الامام علي الخامنئي: إن هذه الحياة الطيبة تشتمل في نفس الوقت على الحياة الفردية والاجتماعية، روح وجسم الإنسان والدنيا والآخرة. كما تم في هذه الحياة الطيبة ضمان الاستقرار الروحي، السكينة والاطمئنان، السعادة والعزة الاجتماعية، الاستقلال والحريات العامة، والمقدمة اللازمة للوصول إلى هذه الحياة الطيبة هي إقامة الجلسات والمسابقات القرآنية وتربية القراء وحفاظ القرآن الكريم).

استقباله يوم الخميس الأساتذة وأعضاء هيئة التحكيم والمشاركين في المسابقات الدولية للقرآن الكريم بدورتها السابعة والعشرين.)

٣. ثمن الحياة الطيبة

جاءت الآية الأولى من هذه الآيات لتؤكد على قبح نقض العهد مرة أخرى و لتبين عذرا آخر من أعذار نقض العهد الواهية، فحيث تطرقت الآيات السابقة إلى عذر الخوف من كثرة الأعداء تأتي هذه الآية لتطرح ما للمصلحة الشخصية (المادية) من أثر سلبي على حياة الإنسان.

ولهذا تقول: "وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا." أي إنّ قيمة الوفاء بعهد الله لا تدانيها قيمة، ولو استلتمتم زمام ملك الدنيا بأسرها فإنه لا يساوي قيمة لحظة واحدة من الوفاء بعهد الله.

و تضيف الآية المباركة للدلالة على هذا الأمر: «إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ». (النحل، ٩٥)

و يبين القرآن في الآية التالية سبب الأفضلية بقوله: "ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَ ما عِنْدَ اللَّهِ باقٍ" لأنّ المنافع المادية وإن بدت كبيرة في الظاهرة، إلا أنها لا تعدو أن تكون فقاعات على سطح ماء، في حين أنّ الجزاء و الثواب الإلهي النابع من ذات الله المطلقة المقدسة أعلى و أفضل من كل شيء.

ثم يضيف قائلا: «وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ» و على الأخص في الثبات على العهد و الأيمان "بِأَحْسَنِ ما كانوا يَعْمَلُونَ."»

إنّ التعبير "أحسن" دليل على أنّ أعمالهم الحسنة ليست بدرجة واحدة، فبعضها حسن و البعض الآخر أحسن، و لكنّ الله تعالى يجزي الجميع بأحسن ما كانوا يعملون، و هو ذروة اللطف و الرحمة الربانية، كما لو مثلنا لذلك في مثل من حياتنا كأن يعرض بائع أنواعا من البضائع المتفاوتة في النوعية، فقسم منها بضائع جيدة، و قسم آخر بضائع رديئة، و البقية بين الإثنين، فيأتي مشتري ليأخذ الجميع بسعر النوعية الجيدة!

و لا تخلو جملة "وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا..." من الإشارة إلى أنّ الصبر و الثبات في السيرة على طريق الطاعة، و خصوصا حفظ العهود و الإيمان هي من أفضل أعمال الإنسان.

وقد روي عن علي عليه السلام قوله: "الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، و لا خير في جسد لا رأس معه، و لا في إيمان لا صبر معه" (نهج البلاغة، الكلمات القصار، رقم ٨٢)

ثم يبين القرآن الكريم بعد ذلك على صورة قانون عام نتائج الأعمال الصالحة المرافقة للإيمان التي يؤديها الإنسان و بأية صورة كانت في هذه الدنيا و في الآخرة، فيقول: "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً

طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. "و عليه، فالمقياس هو الأعمال الصالحة الناتجة عن الإيمان بلا قيد أو شرط، من حيث السن أو الجنس أو المكانة الاجتماعية أو ما شابه ذلك في هذا الأمر.

و"الحياة الطيبة" في هذه الدنيا هي النتائج الطبيعي للعمل الصالح النابع من الإيمان، أي أن المجتمع البشري سيعيش حينها حياة هادئة مطمئنة ملؤها الرفاه والسلم والمحبة والتعاون، بل وكل ما يرتبط بالمجتمع من المفاهيم الإنسانية، وفي أمان من الآلام الناتجة عن الاستكبار والظلم والطغيان وعبادة الأهواء والأنانية التي تملأ الدنيا ظلاما وظلمات. وعلاوة على كل ما تقدم «فإن الله سيجزيهم بأحسن ما كانوا يعملون». (مكارم شيرازي، ١٤٢١ ق، ج ٨، ص ٣١٢-٣١٣)

٤. شروط الحياة الطيبة

الحياة الطيبة تتوق لها كل النفوس، الحياة الطيبة يسعى إليها كل إنسان، الحياة الطيبة هي محط الرحال عند كل البشر، ولكن هل لها قانون وشروط؟ هل لها معادلة ثابتة؟ هل ينطوي القرآن على قانون للحياة الطيبة؟

الحقيقة أن الله سبحانه وتعالى حينما يقول: "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً" ندقق في الآية "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا" من كان عمله صالحا، ومعنى عمله صالحا، أي مطبقا لمنهج الله أولا، ويقدم من علمه وماله وجاهه الكثير لبني البشر؛ لأن الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله. لكن لن يستطيع الإنسان أن يقدم هذه الخدمات وأن ينضبط هذا الانضباط إلا إذا آمن بالله، إلا إذا آمن بالذي خلق السماوات والأرض، إلا إذا عرف سر وجوده وغاية وجوده، فالإيمان بالله أولا والعمل الصالح ثانيا هما سببان رئيسيان للحياة الطيبة. اما الشروط حياة الطيبة فهي:

١. الإيمان واليقين وحسن التوكل على الله.

قال الله تعالى: "وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا" (سورة الطلاق، الآية ٢ و ٣)

في تفسير هذه الآية العلامة طباطبائي يقول:

أي "وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ" ويتورع عن محارمه ولم يتعد حدوده واحترم لشرائعه فعمل بها "يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا" من مضائق مشكلات الحياة فإن شريعته فطرية يهدي بها الله الإنسان إلى ما تستدعيه فطرته وتقضي به حاجته وتضمن سعادته في الدنيا والآخرة "وَيَرْزُقْهُ" من الزوج والمال وكل ما يفتقر إليه في طيب عيشه وزكاة حياته "مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ" ولا يتوقع فلا يخف المؤمن أنه إن اتقى الله واحترم حدوده حرم طيب الحياة وابتلي بصنك المعيشة فإن الرزق مضمون والله على ما ضمنه قادر. "وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ" باعتزاله عن نفسه فيما تهواه وتأمر به وإيثاره إرادة الله سبحانه على إرادة نفسه والعمل الذي يريده الله على العمل الذي تهواه وتريده نفسه وبعبارة أخرى تدين بدين

الله و عمل بأحكامه "فَهُوَ حَسْبُهُ" أي كافيه فيما يريده من طيب العيش و يتمناه من السعادة بفطرته لا بواهمنه الكاذبة. فالله كاف لمن توكل عليه لا غيره "إِنَّ اللَّهَ بِالْغِ الْأَمْرِ" يبلغ حيث أراد، و هو القائل:

"إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" "قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا" فما من شيء إلا له قدر مقدور و حد محدود و الله سبحانه لا يحده حد و لا يحيط به شيء و هو المحيط بكل شيء. هذا هو معنى الآية بالنظر إلى وقوعها في سياق آيات الطلاق و انطباقها على المورد. (الطباطبائي، ١٤١٧ ق، ج ١٩، ص ٣١٤)

٢. الرضا بما قضى الله وقدر وقسم.

قال تعالى: "وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ" (سورة آل عمران، الآية ١٤٥).

في تفسير هذه الآية العلامة طباطبائي يقول:

"وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا" إلخ تعريض لهم في قولهم عن إخوانهم المقتولين ما يشير إليه قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا" (سورة آل عمران، الآية ١٥٦) الآية، و قول طائفة منهم: "لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا" (سورة آل عمران، الآية ١٥٤) الآية، و هؤلاء من المؤمنين غير المنافقين الذين تركوا رسول الله ص و قعدوا عن القتال.

فهذا القول منهم لازمه أن لا يكون موت النفوس بإذن من الله و سنة محكمة تصدر عن قضاء مبرم، و لازمه بطلان الملك الإلهي و التدبير المتقن الرباني و سيجيء إن شاء الله الكلام في معنى كتابة الآجال في أول سورة الأنعام.

و لما كان لازم هذا القول ممن قال به إنه آمن لظنه أن الأمر لرسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و للمؤمنين فقد أراد الدنيا كما مريانه و من اجتنب هذا فقد أراد الآخرة فقال تعالى: "وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا"، و إنما قال:

"نُؤْتِهِ مِنْهَا" و لم يقل: نُؤْتِهَا لأن الإرادة ربما لا توافق تمام الأسباب المؤدية إلى تمام مراده فلا يرزق تمام ما أراده، و لكنها لا تخلو من موافقة ما للأسباب في الجملة دائماً فإن وافق الجميع رزق الجميع و إن وافق البعض رزق البعض فحسب، قال الله تعالى: "مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا" (سورة الإسراء، الآية ١٩)، و قال تعالى: "وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى" (سورة النجم، الآية ٣٩).

ثم خص الشاكرين بالذكر بإخراجهم من الطائفتين فقال: "وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ" و ليس إلا لأنهم لا يريدون إلا وجه الله لا يشتغلون بدنيا و لا آخرة كما تقدم. (الطباطبائي، ١٤١٧ ق، ج ٤، ص ٤١)

٣. التوازن والاعتدال والتوسط.

قال تعالى: "وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ" (سورة القصص، الآية ٧٧)

في تفسير هذه الآية السيد العلامة طباطبائي يقول:

قوله تعالى: "وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ" إلى آخر الآية أي واطلب فيما أعطاك الله من مال الدنيا تعمير الدار الآخرة بإنفاقه في سبيل الله ووضعه فيما فيه مرضاته تعالى.

وقوله: "وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا" أي لا تترك ما قسم الله لك ورزقك من الدنيا ترك المنسي وامل فيه لآخرتك لأن حقيقة نصيب الإنسان من الدنيا هو ما يعمل به لآخرته فهو الذي يبقى له.

وقيل: معناه لا تنس أن نصيبك من الدنيا وقد أقبلت عليك شيء قليل مما أوتيت وهو ما تأكله وتشربه وتلبسه مثلاً والباقي فضل ستتركه لغيرك فخذ منها ما يكفيك وأحسن بالفضل وهذا وجه جيد. وهناك وجوه أخرى غير ملائمة للسياق.

وقوله: "وَأَحْسِنُ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ" أي أنفق لغيرك إحساناً كما آتاك الله إحساناً من غير أن تستحقه وتستوجه، وهذه الجملة من قبيل عطف التفسير لقوله: "وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا" على أول الوجهين السابقين و متممة له على الوجه الثاني.

وقوله: "وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ" أي لا تطلب الفساد في الأرض بالاستعانة بما آتاك الله من مال وما اكتسبت به من جاه وحشمة إن الله لا يحب المفسدين لبناء الخلقة على الصلاح والصلاح. (الطباطبائي، ١٤١٧ ق، ج ١٦، ص ٧٧)

وقال سبحانه واصفاً أهم مزايا هذه الأمة: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ» (سورة البقرة، الآية ١٤٣).

في تفسير هذه الآية السيد العلامة طباطبائي يقول:

قوله تعالى: "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا"، الظاهر أن المراد كما سنحول القبله لكم لنهديكم إلى صراط مستقيم كذلك جعلناكم أمة وسطاً، وقيل إن المعنى و مثل هذا الجعل العجيب جعلناكم أمة وسطاً (وهو كما ترى)، وأما المراد بكونهم أمة وسطاً شهداء على الناس فالوسط هو المتخلل بين الطرفين لا إلى هذا الطرف ولا إلى ذاك الطرف....

فإن الإنسان مجموع الروح والجسم لا روح محضاً ولا جسم محضاً، و محتاج في حياته السعيدة إلى جمع كلا الكمالين و السعادتين المادية و المعنوية، فهذه الأمة هي الوسط العدل الذي به يقاس و يوزن كل من طرفي الإفراط و التفريط فهي الشهيدة على سائر الناس الواقعة في الأطراف و النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) و هو المثال الأكمل من هذه الأمة- هو شهيد على نفس الأمة فهو (صلى الله عليه و آله و سلم) ميزان يوزن به حال الآحاد من الأمة، و الأمة ميزان يوزن به حال الناس و مرجع يرجع إليه طرفا الإفراط و التفريط، هذا ما قرره بعض المفسرين في معنى الآية، و هو في نفسه معنى صحيح لا يخلو عن دقة إلا أنه غير منطبق على لفظ الآية فإن كون الأمة وسطاً إنما يصحح كونها مرجعاً يرجع إليه الطرفان، و ميزاناً يوزن به الجانبان لا كونها شاهدة تشهد على الطرفين، أو يشاهد الطرفين، فلا تناسب بين الوسطية بذاك المعنى و الشهادة و هو ظاهر، على أنه لا وجه حينئذٍ للتعرض بكون رسول الله شهيداً على الأمة إذ لا يترتب شهادة الرسول على الأمة على جعل الأمة وسطاً، كما يترتب الغاية على المغيا و الغرض على ذيه.... (الطباطبائي، ١٤١٧ ق، ج ١، ص ٣٢٠)

٤. الهدف والطموح والتخطيط الجيد لحياتك:

قال تعالى: "أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ" (سورة المؤمنون، الآية ١١٥). فقد خلق تعالى الإنسان لغاية مقصودة وحكمة منشودة قال سبحانه: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ". (سورة الذاريات، الآية ٥٦) وهذه الغاية وهذا الهدف الذي خلق الإنسان من أجله يحتاج منه أن يكون صاحب شخصية متوازنة و متزنة و مستقلة فلا يكن إمعة يسير مع الناس حيث ساروا في حقهم و باطلهم.

٥. الإحسان إلى الخلق والتواصل مع الناس:

حثنا الدين الحنيف على حسن الخلق مع جميع الناس، وجعل ذلك عنواناً على صحة إيمان المسلم وعلى كمال وتمام إيمانه. قال الله تعالى مخاطباً نبيه (صلى الله عليه و آله و سلم): "فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ". (سورة آل عمران، الآية ١٥٩)

٥. ركائز الدعوة إلى الحياة الطيبة

فندكر منها ما يلي:

١. إن الله سبحانه لم يترك الإنسان سدى تتحكم فيه الأهواء والنزوات، بل اختط له طريقاً سوياً لا يجوز أن يتخطاه ويتعداه: "يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى" (سورة القيامة، الآية ٣٦)، «فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ». (سورة الحجر، الآية ٩٢ - ٩٣)

٢. الأمن وصيانة النظام، ومن أخل به وسعى في الأرض الفساد عوقب بأشد العقوبات في الدنيا، وله في الآخرة عذاب أليم: "إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا"

أَوْ تَقَطَّعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ" (سورة المائدة، الآية ٣٣)

٣. إن صيانة الأمن والنظام لا تتحقق ولن تتحقق إذا لم يكن كل إنسان أميناً على نفسه وكرامته، لأن المجتمع الصالح في منطق القرآن هو الذي لا يوجد فيه بذرة واحدة من بذور الفساد: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا». (سورة المائدة، الآية ٣٢)

ذلك إن حقيقة الإنسانية تقوم بكل فرد، تماماً كقيامها في جميع الأفراد، فمن أساء إلى واحد منها فقد أساء إلى الإنسانية بكاملها، ومن أحسن إليه فقد أحسن إليها كذلك. وقوله تعالى: «...مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ» (سورة المائدة، الآية ٣٢) إشارة إلى أن لكل فرد قدسيته الإنسانية، وأنه في حرم محرم، حتى ينتهك هو حرمة نفسه بارتكاب جريمة ترفع عنه تلك القدسية والحصانة الإنسانية.

٤. إن العلاقات بين الناس تقوم على أساس حصانة الكرامة وصيانتها لكل فرد من غير فرق بين الذكر والأنثى، والأسود والأبيض، والغني والفقير. من أي ملة كان ويكون، وقد أقر الله هذه الحقيقة بأوجز عبارة وأبلغها: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ...» (سورة الإسراء، الآية ٧٠) ومن استهان بمن كرمه الله سبحانه فقد استهان بالله وشريعته.

٥. إن الإيمان بالله، ونبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، و اليوم الآخر، و ما إلى ذلك من الأصول و الفروع ليس مجرد شعار ديني يرفعه القرآن، بل أن لكل أصل من أصول الإسلام، و كل حكم من أحكامه ثمرات و حقائق يجمعها الخلق الكريم، و العمل النافع... فلقد قرن الله الإيمان به بالعمل الصالح في العديد من الآيات، أما الإيمان بنبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو إيمان بالإنسانية و رفايتها: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» (سورة الأنبياء، الآية ١٠٧) أما دخول الجنة فيرتبط أقوى ارتباط بالجهاد و العمل الصالح في هذه الحياة: «أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ». (سورة آل عمران، الآية ١٤٢)

وهكذا يرسم القرآن الكريم الطريق الإيجابي لبلوغ مقاصده، واستجابة الدعوة إلى الحياة التي أشار إليها بقوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ». (سورة الأنفال، الآية ٢٤)

وهذا دليل واضح على أن أية دعوة لا تمت إلى الحياة بصله فما هي من الدين في شيء، ومن نسبها إلى الله ورسوله فقد افترى على الدين كذباً. (مغنيه، ١٤٢٤ ق، ج ١، ص ١١)

فالحياة الطيبة هي الحياة التي يدعو لها القرآن الكريم وهي لا تحصل إلا بالإيمان بالله عزَّ وجلَّ والعمل الخالص بما أمر به، فهو القائل جلَّ جلاله: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ». (نحل: الآية ٩٧)

سبب النزول لهذه الآية فقط سنشير عند الشيعة اهل البيت (عليهم السلام):

«نقل المفسر الكبير العلامة الطبرسي عن ابن عباس قوله: إن رجلاً من حضر موت يقال له عيدان الأشعر قال: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، إن امرأ القيس الكندي جاورني في أرضي فاقتطع من أرضي فذهب بها مني، والقوم يعلمون أنني لصادق، ولكنه أكرم عليهم مني، فسأل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أمراً القيس عنه فقال: لا أدري ما يقول، فأمره أن يحلف. فقال عيدان: إنه فاجر لا يبالي أن يحلف، فقال: إن لم يكن لك شهود فخذ بيمينه، فلما ذا قال ليحلف أنظره فانصرفا فنزل قوله: "وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ..." الآيةان فلما قرأهما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال امرؤ القيس: أما ما عندي فينفذ وهو صادق فيما يقول، لقد اقتطعت أرضه ولم أدركم هي، فليأخذ من أرضي ما شاء ومثلها معها بما أكلت من ثمرها، فنزل فيه "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا..." (مكارم شيرازي، ١٤٢١ ق، ج ٨، ص ٣١١)

اما التفسير لهذه الآية الشريفة لا بد ان نشير كلا الفريقين ونرى ماذا يقلون حول هذه الآية الشريفة.

٦/١ عند الشيعة اهل البيت (عليهم السلام):

العلامة الطباطبائي في تفسير الآية "٩٧" من سورة "النحل" فيقول:

قوله تعالى: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً» إلى آخر الآية. وعد جميل للمؤمنين إن عملوا عملاً صالحاً وبشرى للإناث أن الله لا يفرق بينهن وبين الذكور في قبول إيمانهن ولا أثر عملهن الصالح الذي هو الإحياء بحياة طيبة والأجر بأحسن العمل على الرغم مما بنى عليه أكثر الوثنية وأهل الكتاب من اليهود والنصارى من حرمان المرأة من كل مزية دينية أو جلها و حط مرتبتها من مرتبة الرجل ووضعها وضعاً لا يقبل الرفع البتة.

فقوله: "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ" حكم كلي من قبيل ضرب القاعدة لمن عمل صالحاً أي من كان وقد قيده بكونه مؤمناً وهو في معنى الاشتراط فإن العمل ممن ليس مؤمناً حابط لا يترتب عليه أثر، كما قال تعالى: «وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ» (سورة المائدة، الآية ٥)، وقال: «وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ». (سورة هود، الآية ١٦)

وقوله: «فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً» الإحياء إلقاء الحياة في الشيء وإفاضتها عليه فالجملة بلفظها دالة على أن الله سبحانه يكرم المؤمن الذي يعمل صالحاً بحياة جديدة غير ما يشاركه سائر الناس من الحياة العامة، وليس المراد به تغيير صفة الحياة فيه وتبديل الخبيثة من الطيبة مع بقاء أصل الحياة على ما كانت عليه، ولو كان كذلك.

لقليل: فلنطين حياتهم. فالآية نظيرة قوله: «أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ» (سورة الأنعام، الآية ١٢٢)، وتفيد ما يفيد من تكوين حياة ابتدائية جديدة.

و ليس من التسمية المجازية لأن الآيات المتعرضة لهذا الشأن ترتب عليه آثار الحياة الحقيقية كقوله تعالى: «أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَتَدَّهَمُ بَرُوحٍ مِنْهُ» (سورة المجادلة، الآية ٢٢)، و كقوله في آية الأنعام المنقولة آنفا: «وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ» فإن المراد بهذا النور العلم الذي يهتدي به الإنسان إلى الحق في الاعتقاد والعمل قطعا.

و كما أن له من العلم و الإدراك ما ليس لغيره كذلك له من موهبة القدرة على إحياء الحق و إمطة الباطل ما ليس لغيره، و قد قال سبحانه: «كَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ» (سورة الروم، الآية ٤٧)، و قال: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ». (سورة المائدة، الآية ٦٩)

و هذا العلم و القدرة الحديثان يمهدان له أن يرى الأشياء على ما هي عليها فيقسمها قسمين حق باق و باطل فان، فيعرض بقلبه عن الباطل الفاني الذي هو الحياة الدنيا بزخارفها الغارة الفتانة و يعتز بعزة الله فلا يستذله الشيطان بوساوسه و لا النفس بأهوائها و هوساتها و لا الدنيا بزهرتها لما يشاهد من بطلان أمتعتها و فناء نعمتها.

و يتعلق قلبه بربه الحق الذي هو يحق كل حق بكلماته فلا يريد إلا وجهه و لا يحب إلا قربه و لا يخاف إلا سخطه و بعده، يرى لنفسه حياة طاهرة دائمة مخلدة لا يدبر أمرها إلا ربه الغفور الودود، و لا يواجهها في طول مسيرها إلا الحسن الجميل فقد أحسن كل شيء خلقه، و لا قبيح إلا ما قبحه الله من معصيته.

فهذا الإنسان يجد في نفسه من البهاء و الكمال و القوة و العزة و اللذة و السرور ما لا يقدر بقدر، و كيف لا؟ و هو مستغرق في حياة دائمة لا زوال لها و نعمة باقية لا نفاذ لها و لا ألم فيها و لا كدورة تكدرها، و خير و سعادة لا شقاء معها، هذا ما يؤيده الاعتبار و ينطق به آيات كثيرة من القرآن لا حاجة إلى إيرادها على كثرتها.

فهذه آثار حيوية لا تترتب إلا على حياة حقيقية غير مجازية، و قد رتبها الله سبحانه على هذه الحياة التي يذكرها و يخصها بالذين آمنوا و عملوا الصالحات فهي حياة حقيقية جديدة يفيضها الله سبحانه عليهم.

و ليست هذه الحياة الجديدة المختصة بمنفصلة عن الحياة القديمة المشتركة و إن كانت غيرها فإنما الاختلاف بالمراتب لا بالعدد فلا يتعدد بها الإنسان، كما أن الروح القدسية التي يذكرها الله سبحانه للأنبياء لا توجب لهم إلا ارتفاع الدرجة دون تعدد الشخصية.

هذا ما يعطيه التدبر في الآية الكريمة و هو حقيقة قرآنية و به يظهر وجه توصيفها بالطيب في قوله: "حَيَاةً طَيِّبَةً" كأنها- كما اتضح- حياة خالصة لا خبث فيها يفسدها في نفسها أو في أثرها.

و للمفسرين في الآية وجوه من التفسير:

منها: أن الحياة الطيبة هي الحياة التي تكون في الجنة فلا موت فيها و لا فقر و لا سقم و لا أي شقاء آخر.

و منها: أنها الحياة التي تكون في البرزخ و لعل التخصيص من حمل ذيل الآية على جنة الآخرة.

و منها: أنها الحياة الدنيوية المقارنة للقناعة و الرضا بما قسم الله سبحانه فإنها أطيب الحياة.

و منها: أنها الرزق الحلال إذ لا عقاب عليه.

و منها: أنها رزق يوم بيوم.

و وجوه المناقشة فيها لا تكاد تخفى على الباحث المتدبر فلا نطيل بإيرادها.

وقوله: «وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» تقدم الكلام فيه في الآية السابقة، و في معنى الآية قوله تعالى: «وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ» (سورة المؤمن، الآية ٤٠).

٢/٦ عند اخواننا اهل السنة:

فخرالدين رازي في تفسير الآية "٩٧" من سورة "النحل" فيقول:

«مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»

و في الآية سؤالات:

السؤال الأول: لفظة "من" في قوله: "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا" تفيد العموم فما الفائدة في ذكر الذكر والأنثى؟

و الجواب: أن هذه الآية للوعد بالخيرات و المبالغة في تقرير الوعد من أعظم دلائل الكرم و الرحمة إثباتا للتأكيد و إزالة لوهم التخصيص.

السؤال الثاني: هل تدل هذه الآية على أن الإيمان مغاير للعمل الصالح؟

و الجواب: نعم لأنه تعالى جعل الإيمان شرطا في كون العمل الصالح موجبا للثواب. و شرط الشيء مغاير لذلك الشيء.

السؤال الثالث: ظاهر الآية يقتضي أن العمل الصالح إنما يفيد الأثر بشرط الإيمان، فظاهر قوله: "فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ" يدل على أن العمل الصالح يفيد الأثر سواء كان مع الإيمان أو كان مع عدمه.

و الجواب: أن إفادة العمل الصالح للحياة الطيبة مشروط بالإيمان، أما إفادته لأثر غير هذه الحياة الطيبة و هو تخفيف العقاب فإنه لا يتوقف على الإيمان.

السؤال الرابع: هذه الحياة الطيبة تحصل في الدنيا أو في القبر أو في الآخرة.

و الجواب فيه ثلاثة أقوال:

القول الأول: قال القاضي: الأقرب أنها تحصل في الدنيا بدليل أنه تعالى أعقبه بقوله: "وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" و لا شبهة في أن المراد منه ما يكون في الآخرة.

و لقاتل أن يقول: لا يبعد أن يكون المراد من الحياة الطيبة ما يحصل في الآخرة، ثم إنه مع ذلك وعدهم الله على أنه إنما يجزيهم على ما هو أحسن أعمالهم فهذا لا امتناع فيه.

فإن قيل: بتقدير أن تكون هذه الحياة الطيبة إنما تحصل في الدنيا فما هي؟

و الجواب: ذكروا فيه وجوها قيل: هو الرزق الحلال الطيب، و قيل: عبادة الله مع أكل الحلال، و قيل: القناعة، و قيل: رزق يوم بيوم.

كان النبي (صلى الله عليه و آله سلم) يقول في دعائه: "قنعني بما رزقتني"

قال الواحدي و قول من يقول: إن القناعة حسن مختار لأنه لا يطيب عيش أحد في الدنيا إلا عيش القانع و أما الحريص فإنه يكون أبدا في الكد و العناء.

و أن عيش المؤمن في الدنيا أطيب من عيش الكافر لوجوه:

الأول: أنه لما عرف أن رزقه إنما حصل بتدبير الله تعالى، و عرف أنه تعالى محسن كريم لا يفعل إلا الصواب كان راضيا بكل ما قضاه و قدره، و علم أن مصلحته في ذلك، أما الجاهل فلا يعرف هذه الأصول فكان أبدا في الحزن و الشقاء.

و ثانيها: أن المؤمن أبدا يستحضر في عقله أنواع المصائب و المحن و يقدر وقوعها و على تقدير وقوعها يرضى بها، لأن الرضا بقضاء الله تعالى واجب، فعند وقوعها لا يستعظمها بخلاف الجاهل فإنه يكون غافلا عن تلك المعارف، فعند وقوع المصائب يعظم تأثيرها في قلبه.

و ثالثها: أن قلب المؤمن منشرح بنور معرفة الله تعالى، و القلب إذا كان مملوءا من هذه المعارف لم يتسع للأحزان الواقعة بسبب أحوال الدنيا، أما قلب الجاهل فإنه خال عن معرفة الله تعالى فلا جرم يصير مملوءا من الأحزان الواقعة بسبب مصائب الدنيا.

و رابعها: أن المؤمن عارف بأن خيرات الحياة الجسمانية خسيصة فلا يعظم فرحه بوجدانها و غمه بفقدانها، أما الجاهل فإنه لا يعرف سعادة أخرى تغايرها فلا جرم يعظم فرحه بوجدانها و غمه بفقدانها. و خامسها: أن المؤمن يعلم أن خيرات الدنيا واجبة التغير سريعة التقلب فلولا تغيرها و انقلابها لم تصل من غيره إليه.

و اعلم أن ما كان واجب التغير فإنه عند وصوله إليه لا تتقلب حقيقته و لا تتبدل ماهيته، فعند وصوله إليه يكون أيضا واجب التغير، فعند ذلك لا يطبع العاقل قلبه عليه و لا يقيم له في قلبه وزنا بخلاف الجاهل فإنه يكون غافلا عن هذه المعارف فيطبع قلبه عليها و يعانقها معانقة العاشق لمعشوقه فعند فوته و زواله يحترق قلبه و يعظم البلاء عنده، فهذه وجوه كافية في بيان أن عيش المؤمن العارف أطيب من عيش الكافر هذا كله إذا فسرنا الحياة الطيبة بأنها في الدنيا.

و القول الثاني: و هو قول السدي إن هذه الحياة الطيبة إنما تحصل في القبر.

و القول الثالث: و هو قول الحسن و سعيد بن جبير إن هذه الحياة الطيبة لا تحصل إلا في الآخرة و الدليل عليه قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ» (سورة الإنشقاق، الآية ٦) فبين أن هذا الكدح باق إلى أن يصل إلى ربه و ذلك ما قلناه، و أما بيان أن الحياة الطيبة في الجنة فلا أنها حياة بلا موت و غنى بلا فقر، و صحة

بلا مرض، و ملك بلا زوال، و سعادة بلا شقاء، فثبت أن الحياة الطيبة ليست إلا تلك الحياة، ثم إنه تعالى ختم الآية بقوله: "وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" وقد سبق تفسيره و الله أعلم.

النتيجة :

وكانت النتيجة هي أن الحياة الطيبة متفق عليها عند كل البشر بغض النظر عن الإسلام لأجل أهميتها في المجتمع. وهذه المسأل القرآنية والاجتماعية التي قد تشير الى اهمية الحياة الطيبة. أن هذه المسألة من أهم المسائل القرآنية والاجتماعية في الاسلام والمجتمع الاسلامي. الحياة الطيبة متفق عليها عند كل البشر بغض النظر عن الإسلام لأجل أهميتها في المجتمع.

وقد حاولت أن أسلط الضوء على المسأل القرآنية والاجتماعية التي تشير الى اهمية الحياة الطيبة. وتوصّلت من خلال بذل جهدي المتواضع إلى أن هذه المسألة من أهم المسائل القرآنية والاجتماعية في الاسلام والمجتمع الاسلامي، لقد صلط الضوء في بحثي على هذه المسألة المهمة التي تعتبر جزء من حياة المجتمع الإسلامي.

١. حلى، حسن بن يوسف، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد (تحقيق الزنجاني)، (١٣٧٣ش)، تحقيق: السيد إبراهيم الموسوي الزنجاني، قم، شكورى
٢. الفراهيدي البصري، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، كتاب العين، (١٩٨٠م)، بيروت، دار ومكتبة الهلال
٣. الشيخ عبد الله عيسى إبراهيم الغديري، القاموس الجامع للمصطلحات الفقهية، الطبعة: الأولى، مكان النشر: بيروت، سنة الطبع: ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م
٤. ابن مكرم، محمد جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، لسان العرب، (١٤١٤ هـ)، بيروت، دار صادر، الطبعة الثالثة
٥. الطباطبائي، سيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، (١٤١٧ ق)، قم، دفتر انتشارات اسلامى جامعہ مدرسین حوزہ علمیه قم
٦. مكارم شيرازى، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، (١٤٢١ ق)، الناشر: مدرسه امام على بن ابى طالب (ع)، الطبعة: الأولى (مكارم شيرازى، ١٤٢١ ق،)
٧. مكارم الشيرازى، ناصر، نفحات القرآن، (١٤٢٦ هـ. ق)، الناشر: مدرسه امام على بن ابى طالب (ع)، الطبعة: الأولى
٨. مغنيه، محمد جواد، تفسير الكاشف، (١٤٢٤ ق)، تهران، الناشر: دار الكتب الإسلامية، الطبعة: الأولى